المثقف الجنوبي: المسألة والمسؤولية

أجرت **الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية** هذه الحوارية، على غير صورتها المعتادة، مع ثلاثة مفكِّرين من أصدقاء الفلسطينيين وأنصار فلسطين وقضايا الحرية والعدالة في العالم: روبن كيلي، وديفيد لويد، وفريد موتين، وثلاثتهم من كبار الأكاديميين والشعراء والمثقفين العامين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. يفتتح كيلي الحوارية بمداخلة تتناول "مسؤولية المثقفين في زمن الفاشية والإبادة الجماعية"، ويتبعها لويد بمداخلة تناقش "قنبلة 'إسرائيل' الاستعمارية الاستيطانية"، ويختتمها موتين بمداخلة تنتصر لحركة المقاطعة "هنا، هناك، وفي كل مكان". على امتداد المداخلات الثلاثة، يتناوب الأيرلندي لويد والأفريقيان-الأمريكيان كيلي وموتين، على جعل الحق أكثر وضوحاً بموضعة فلسطين في صميم النضال الجنوب عالمي ضدَّ العنصرية والفاشية والاستعمار التي تشكِّل سلالة واحدة، لا في جغرافيات الجنوب المستعمَرية وحسب، بل وفي جوف الوحش الإمبريالي في المركز الاستعماري الشمالي. فالمداخلات، من ناحية، تعيد ربط المسألة الجنوبية بمسؤولية المثقف الجنوبي وتوسِّع دائرتيهما، كما أنها، من ناحية أخرى، تعيد الاعتبار إلى معاني "التضامن الفعلي"، بحسب أميلكار كابرال، مع "فلسطين الشهيدة". ولعل من وجوه المفارقة: أولاً، أن هؤلاء المفكرين الثلاثة، وعلى الرغم من الملاحقة التفتيشية للأكاديميين والمثقفين وكافة المشتغلين بالحقل الثقافي في كثير من الدول الغربية (وحتى العربية)، لم يسلكوا الجانب الأرحب من الطريق، بل أتقنوا النظرية الممارسة على نحو أعفاهم من الإصغاء إلى المقولة الساخرة، والمؤدلَجة بالتأكيد، بأن "دور المثقف ينحصر في أن يتحمَّل هامشية دوره في التاريخ!" وثانياً، أن هؤلاء المفكرين الثلاثة لم يرتضوا أن يكونوا وقوداً لثقافة الهزيمة والاستسعاد بالبؤس ومسالمة اليأس ومديح العري الجماعي وإذكاء حروب التمثيل واحتكار الألم... ولم يتورطوا في إيهان الإجماع الشعبي العالمي والعربي والفلسطيني على معايير المقاطعة ومقاومة التطبيع. لقد اختار كيلي ولويد وموتين الاحتكام إلى أخلاقية مقاوِمة تتجاوز، في برنامجها الواضح، السجال النبيل في حدود عالم الأفكار نحو تحويله إلى نضال تضامني في عالم الميدان: في الجامعة والمجتمع، من دبلن ونيويورك إلى غزة والقدس وبيروت وصنعاء وكيب تاون... كتب ضيوف حوارية الجنوب مداخلاتهم (التي تعلَّموا الكثير من مضامينها من الثورة الفلسطينية) بالإنجليزية، وقد صارت الآن معرفة طليقة برسم القراءة من قبل من لا زالوا ينطقون بالعربية في أزمنة الرطانة السياسية والمعرفية والأخلاقية